عندما يموت اللون في المنفى .. محنة المبدع العراقي

زياد حيدر الهارب من السجون والحروب

المدى الثقافي

رحل عن عالمنا الفنان التشكيلي زياد حيدر وهو في قمة ابداعه وتألقه يوم الثلاثاء المصادف ٢٠٠٦/١/٣ أثر سكتة قلبية لم تمهله طويلا في مرسمه بمدينة امستردام بين فرشاته ولوحاته التي فرشت جدران أتليه الجديد حيث كان مشغولا بترتيبه لأفتتاح معرضه الشخصي بعد سنوات من الكفاح والمعاناة، والابداع المتواصل.

كان الفنان زياد حيدر مهموما بأشياء لا حدود لها، فبعد غربته التي جاوزت الخمسة عشر عاما بين الاردن وسوريا وهولندا، وبعد أن عاش غربته وعذاباته داخل العراق ابان السبعينيات والثمانينيات، استنزفت منه خمس سنوات في أقبية سجن أبو غريب بحكم سياسي جائر من محكمة الثورة سيئة الصيت، ومثلها عسكريا في جبهات القتال مع ايران إلى أن حانت فرصة هروبه من العراق بداية التسعينيات ليستنشق هواء الحرية النقي، ويبدأ رحلته الفنية من جديد.

لم يشهد بلد مثل العراق مثل تلك المآسي التي مرت عليه وعلى أجيال ابنائه المتعاقبة، حيث ضاقت مساحة الحرية والبوح والصراخ، واطبقت جدرانه الثقيلة الصماء على الضمائر والعيون والأنفس.. حرب تجر حرب ومعتقلات وتصفيات وغياهب مجهول في كل بيت لها نصيب وفاجعة.. كان لمبدعي العراق ومفكريه نصيب وافر من هذه المآسي، حيث غاب من غاب، وانزوى آخرون، وترك العراق هائما تحت سماوات غريبة من استطاع النفاذ بجلده من المحرقة الكبيرة ليحافظ على نقاوة فكره وبقايا مقاومة لم يستطع طاغية العراق سحقها.

أتذكر الهجرة الكبيرة لمثقفي ومبدعي العراق أواخر سبعينيات القرن الماضي بعد أن بسط الدكتاتور ظله كاملا على شعب ومقدرات العراق.. هجرة لم يكن ابطالها فقط الشيوعيون.. بل شملت مستقلين وبعض القوميين المختلفين مع اسلوب وادارة النظام، واسلاميين.. اكراداً وعرباً ومن جميع الأديان والطوائف، لكن في مقدمتهم بطبيعة الحال اليساريون الذين خذلتهم الجبهة والتحالفات التي لم تستند إلى أسس وطنية ومشاركة في الوطن.

كان زياد حيدر ضمن من بقي منا داخل العراق بسبب المنع والسجن والمضايقة، أنهى دراسته في اكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٧٦ ليبدا مشواره الفني منذ ذلك الوقت، مشاركا في معارض مهمة داخل العراق وخارجه، مبدعا يحمل هما وطنيا ورؤية فنية جسدها بأعمال تناصر الإنسان وتحكي محنته.

في لوحته المشهورة (انفجار لعبة ٢٤٠×١٢٠ سم) التي رسمها اواسط الثمانينيات تعبير واضح عن الصرخة المدوية لسنوات العذاب التي واجهها في حياته، حيث ينفجر رأسه فجأة وسط اللوحة وتتشظى منه كرات أشبه بكرات البلياردِ عليها أرقام تمثل أعوام ميلاده وسجنه ورقمه العسكري وتواريخ مآسٍ أخر مرت بحياته، لوحة ادانة وتعبير صادق وصارخ لكابوس الاضطهاد والخوف الذي عاشه جيل أراد الخروج من الشرنقة وتلافيفها التي التفت على أعناق العراقيين.

توفي الفنان زياد حيدر عن عمر ٥١ عاما وفي رأسه أحلام ومشاريع فنية وأمل في العودة إلى العراق ليبدا مشواره من جديد، حيث حلمه بفتح مدرسة خاصة لتعليم الرسم للموهوبين من الشباب كما صرح في آخر حديث له لأذاعة العراق الحر، لكنه عاد ليحضن تربة العراق إلى الأبد ويبقى ابداعه في ذاكرة الفن التشكيلي العراقي وفي قلوب اصدقائه من المثقفين والفنانين العراقيين الذين فجعوا برحيله في هولندا وفي العراق وكل المنافي العراقية (حيث تحول تشييعه في امستردام لمهرجان مهيب حضره اصدقاؤه ومحبوه من كل ارجاء هولندا ومن خارجها وسط مشاعر الدموع والأسى لرحيله المفاجئ والمبكر) ولينقل جثمانه إلى العراق على نفقة رئيس جمهورية العراق في التفاتة وطنية وإنسانية، ووفاء لمبدع عاش العراق في ضميره وفنه.

حوار مع الراحل الفنان التشكيلي زياد حيدر:

الفنان العراقي المغترب يملك حرفية عالية وخزينا متراكماً

(٢-١)

كريم النجار
امستردام

عالم متغير وإحساس جديد، فيه صخب واستفزاز.. وذروة الهدوء في آن معا، لكن ليس من السهولة تلمس الخطوات في دخول هذا العالم النابض بقوة التغيير، ولأجل تلمس انتقالات زياد حيدر برؤية عبر المفردة والاسلوب والتشكيل ومعالجات ليست نمطية، فعليك أن تتسلح بخبرة معرفية وذوقية لما تمخض عنه التشكيل العراقي المعاصر من ظواهر وأعلام بصمت تأثيراتها الواضحة في تطور هذا الفن وبروزها على المستوى العربي والعالمي.

في توليفاته جمع غريب لمتناقضات تنبض إرهاصا وحياة قلقة، تسكن روح الإنسان المتمرد.. الباحث عن وجوده وسط دوامة صراع قاهر وغير متكافئ يكون في النهاية ضحيته، من أعماله القديمة وتخطيطاته التي تظهر الجسد الإنساني مضغوطا تحت ثقل كتلته التي تحمل هاجس الخوف والدمار والحروب، والتي كانت تطغى عليها ثنائية الأسود والأبيض، وبحركات مجتزأة كفعل المشرط في الجسد الإنساني، وبمهارة تقنية في استعماله للكولاج والقطع لأضفاء الترميز المكثف، وكأنها تعبير كما خرجت به حياته الصاخبة التي توزعته، وكأنه شخصية خرجت للتو من عالم سلفادور دالي أو استرياس أو ماركيز لتصب لعنتها على الواقع وتتمرد عليه.

لقد عاش ولفترة طويلة في العزلة والسجن والتمرد، وهي احتجاجه المعلن لما وصل اليه الاسفاف وصعود أنصاف المواهب وتبوؤهم سلطة الفن والثقافة في العراق لفترة جاوزت العقدين، وهنا نتلمس ثمار حرية الفنان وانعكاسها على اعماله، وقد استطاع الفنان زياد حيدر وبفترة قصيرة نسبيا أن يحقق أعمالا تظهر موهبته الفنية وحرفته العالية، فنراه الآن وقد تحرر وبشكل سريع من كوابيسه الثقيلة السود.. إلى تجسيدها عبر اللون والتناغم الموسيقي مع أختلاف الحدث، وهي رؤية جمالية وبصرية لدراما الحياة وسؤال الإنسان الدائم بعيدا عن المباشرة والشعارات الزائفة.

والفنان زياد حيدر تخرج عام ١٩٧٦ من اكاديمية الفنون الجميلة- بغداد وشارك في العديد من المعارض داخل العراق وفي عدة بلدان عربية واوروبية. وفي لقائنا هذا، يتحدث برؤية الفنان الجاد والمتجدد الذي يريد أن يتعايش بتنافس وحوار مفيد مع عدة ثقافات وبطابع إنساني وفني بحت.

للوحة لغتها الخاصة

❖منذ اقامتك القصيرة في هولندا أستطعت خلالها اقامة معرض مشترك مع أحد الفنانين الهولنديين المشهورين، ومجموعة معارض مشتركة مع فنانين عراقيين وعرب واوروبيين في هولندا وخارجها، يأتي ذلك بعد انقطاعك ولفترة طويلة عن اقامة آخر معارضك الشخصية في العراق، ترى هل هي نابعة من أسباب تتعلق بالرؤية، أم بمساحة الحرية المتاحة للفنان بالتعبير والطرح، والمشاهدة المستمرة.. ومدى تأثيرها على تطور اداء الفنان؟

- خلال فترة اقامتي القصيرة نسبيا.. هنا في هولندا، والتي تبدو لي المحطة الأخيرة.. بعد سلسلة من المحطات، أحسست أن فرصا عديدة متاحة للعرض والانتاج، بعد توفر الشرط الإنساني اللائق.. في هذا البلد الصغير في جغرافيته، والكبير في تاريخه الفني، فهو بلد رمبرانت وفان كوخ وموندريان. لقد لمست هنا اهتماما خاصا من قبل المعنيين في الفن.. اهتماما نفتقده منذ زمن أو منذ دهور، اهتماماً نابعاً، ليس لأننا من بلاد ما بين النهرين وممثلون لحضارة ذلك البلد فقط، بل لأن الفن هنا يحتل مكانا لائقا بين النتاجات الإنسانية المتسامية، وثروة يفتخر بها المعنيون والجمهور على حد سواء، إضافة إلى رغبة الهولنديين في التحاور مع الثقافات الاخرى وخاصة ثقافات وفنون الشرق.

استطعت خلال هذه الفترة أن اؤسس وضعا فنيا مختلفا عما كان عليه في بغداد، من خلال التواصل والاطلاع على المنجز الفني الهولندي الكلاسيكي والمعاصر.. ومن التواصل مع بعض الفنانين الهولنديين والعراقيين بسبب توفر المناخات والشروط الإنسانية بحرية العمل الفني. وتلقيت العديد من الدعوات للمشاركة في معارض ومهرجانات، واقمت معرضا ثنائيا مع الفنان الهولندي (فان دايك) بدعوة من كاليري (سيركل) في هولندا.. وكانت ثيمة المعرض عن موضوعة الحرب وتشظيها في ذاكرة الفنان، حيث عاصر الفنان دايك الحرب العالمية الثانية وخاض تجربة الاعتقال كما عشتها أنا في العراق.. أفتتح المعرض وكيل وزارة الثقافة الهولندية، كما شاركت في مهرجان (موسكرون) الدولي في بلجيكا ومع منظمة U MAN في فنلندا، إضافة إلى العديد من المعارض المشتركة مع فنانين عراقيين في عدة مدن هولندية ومساهماتي مع جمعية (ميسوبوتاميا) أصدقاء بلاد ما بين النهرين الفنية.

لقد سقت هذه المقدمة الصغيرة كي ابين من خلالها حجم ما نفتقده من احتفاء بالفن العراقي، والتعامل مع المنجز الفني باعتباره نشاطا إنسانيا ساميا، ومن خلال ذلك استطيع أن اؤكد أن عملية الانقطاع التي حصلت لي والابتعاد عن خارطة الفن التشكيلي العراقي في الداخل بشكل مؤقت في السنوات الاخيرة هي لأسباب تتعلق بالرؤية الفنية، ولها أسباب تتعلق بحرية التعبير، والمساحة المتاحة للفنان بالتعبير وطرح رؤاه الخاصة. ولو افترضنا ذلك فاننا نعني بالمقابل.. أن يكون (الآخر) الذي يمتلك (سلطة) على الثقافة مثقفا، ويعي تماما ما تعنيه موضوعة الحرية في الثقافة وما تشكله من خطر على (سلطته) تلك. أعتقد أن هذا الافتراض غير موجود، بمعنى انك تواجه سلطة على الثقافة غير مثقفة.. وبالتالي فهي تخشى الثقافة ذاتها، وليس الحرية المتاحة في التعبير داخل - الثقافة- لذا فهي حريصة دائما على ايجاد ظرف استثنائي مزمن ومبرمج يضع الفنان والمثقف بين حربين، إما العمل في ترسانة الاعلام تحت يافطة الحرب باعتبارها انجازا، واما القتال في الجبهات دفاعا عن الجلادين الذين جلدوا الثقافة والفن.. وازاء ذلك يبقى مجال للحديث عن مساحة الحرية المتاحة للفن في التعبير والطرح.. أو في تطور اداء الفنان.

❖كيف برأيك يتفاعل الفنان المغترب حديثا مع ما يراه من تطور فني كبير، على صعيد الاساليب والخامة والموضوعة والعرض، واثر التشكيل الاوروبي المعاصر عليه؟

- في البدء اعتقد أن الفنان العراقي بشكل عام يمتلك حرفية عالية وسيطرة على خاماته، وهي في أغلب الاحيان خامات تقليدية متعارف عليها، بسبب من عزلة الفنان لعقود عن مجرى تطور الحركة الفنية في العالم، وانقطاعه عن التواصل مع العالم الخارجي، إضافة إلى وجود خزين من الخبرة لدى الفنان العراقي في التحاور والمواكبة لتيارات الفن الحديث التقليدية.. رغم تلك العزلة، فالتحاور هذا يتم غالبا بجهود فردية وعبر قنوات محدودة.هذا الانقطاع وتلك المحاولات في التواصل، موضوعة مهمة وخطيرة في تناول قضية تفاعل الفنان العراقي المغترب حديثا مع ما يراه من تطور كبير على صعيد الاساليب والخامات وتطور طرق العرض، إضافة إلى التفاعل مع التشكيل الاوروبي المعاصر. لذا أجد أن الفنان العراقي هنا يعاني في البداية من فارق كبير وتأخر واضح في الزمن والمادة وطريقة التعامل مع الموجودات البصرية، وكيفية تحسسها والتعامل معها، عبر رؤية معاصرة تنسجم مع التطور التكنولوجي الهائل الذي حصل في غفلة عنا.. آخذين بنظر الاعتبار التغاير الحاصل بين رؤية الفنان الاوروبي والفنان الشرقي، بسبب من طبيعة المقتربات والمرجعيات الحضارية لكل منهما، كحصيلة منطقية لاختلاف الحضارتين الاوروبية والشرقية.

إلا أن السمتين الاساسيتين اللتين ذكرتهما، وهما امتلاك الفنان العراقي المغترب حديثا (حرفية عالية.. وخبرة في الخزين المتراكم) في التحاور والمواكبة والرؤية المتقدمة التي يمتلكها، إضافة إلى هذا وهو الاهم، وجود الفضاءات الواسعة في حرية العمل والتفكير، والاحساس في التعامل مع اوساط فنية مثقفة وحضارية، تحترم الفعل الثقافي والفني وتتعامل مع الفن باعتباره انجازا إنسانيا متساميا، وليس اداة لخدمة الترسانات الاعلامية. كل ذلك يجعل الفنان العراقي قادرا على إيجاد لغة معاصرة للتحاور والتعايش مع المنجز الاوروبي.. ونستطيع أن نستقرئ ذلك من خلال خارطة الفن العراقي المغترب حديثا.

التشكيلي العراقي زياد حيدر في تظاهرة ثقافية مهمة في أمستردام

امستردام / علي شايع

بصفاء ثابت للفكرة وحساسية لونية عالية ينجز الفنان التشكيلي العراقي زياد حيدر أعماله لما يزيد عن ربع قرن من عمر تجربته الفنية الزاخرة. وفي طواعية هائلة للون وإمكانيات فنية متميزة يشهد له بها كل من اطلع على أعماله، يتجاوز زياد حيدر حدود ما يرسمه الى مدرك ذاتي كبير في تجربة يفتح مساحتها مع الرائي، مستشرفا القيمة العظمى للفن التي هي أعلى قيمة لديه يعيش تجريدها بخصوصية فريدة وبتجربة حياتية صعبة كان للسجن السياسي فيها نصيبه الوافر.

تنوعت أعمال الفنان زياد حيدر في اللوحة الفنية المعاصرة التي تتخذ من موضوعها روح الحدث والمعاناة الإنسانية الكبرى، و الأحداث الهائلة التي طغت في العراق والتي طبعت بعض أعماله ونتاجه للسنوات الأخيرة فكان العراق حاضرا بقوة،وكان لزيارة الفنان لبغداد مؤخرا أثرها الواضح في إنتاجه الفني،تاركة ايضا أبعادها في انطباعات الجمهور الكثير الذي حضر الى هذه التظاهرة الفنية الكبيرة.

يجدر الذكر ان الفنان زياد حيدر من الفنانين العراقيين الأكثر مواظبة على مشروعه الفني وكان قد اشترك في معارض عدة في هولندا حيث يقيم منذ أكثر من ٩ سنوات، هي امتداد لتواصله الفني منذ عقد السبعينيات وخلال عقد الثمانينيات حيث عرض أعماله ضمن معارض الفن العراقي المعاصر ومعارض جمعية الفنانين التشكيليين، ومعرض الكرافيك العراقي المعاصر، ومهرجانات الواسطي.

وكان للفنان زياد حيدر حضوره الفني خارج العراق قبل خروجه منه هاربا بعد ان حكم عليه بالسجن عشر سنوات قضى أربعاً منها في زنازين سجن ابو غريب سيئ الصيت.وعرضت نتاجاته ضمن معارض الفن العراقي في العاصمة اليابانية طوكيو وقبرص وعمان. كما عرضت اعماله في هولندا، بولندا، سويسرا، بلجيكا، امريكا، فنلندا والمانيا ومتحف مدينة ماجدانيك البولندية الذي يضم في مجموعته الدائمة احدى لوحاته، وحصل على جوائز كثيرة. كما ان لديه اعمالا في المجموعة الدائمة للمتحف الوطني للفن الحديث ببغداد ضاعت ضمن ما ضاع في إحداث السلب والنهب.

عدنان حسين أحمد

تتميز تجربة الفنان زياد حيدر بالبحث في المناطق اللا مرئية من أعماق الأنسان، ففضلاً عن همه الوجودي نراه يغوص الى أعماق الذاكرة، ويفتش في حجراتها عن نثار الذهب المتبقي، وما خلفته الحضارات العراقية المتعاقبة من درر الأفكار، وشظايا الأحاسيس الموخزة التي تستفيق في دواخلنا لتستحضر آلافاً من السنوات دفعة واحدة، فيغدو الماضي البعيد راهناً نتلمسه، ونراه، ونتذوق نكهته وطراوته، وتستشرف المستقبل البعيد وكأنه الحاضر الذي يتمرأى أمام أعيننا كيقين دامغ. وللفنان زياد حيدر رؤية كولاجية عميقة، فهو ينظر الى هذا العالم المضطرب وكأنه قائم على فكرة التقطيع والتلصيق، فعبر المزاوجة والتوليف يقدم لنا الفنان انجازاته التشكيلية التي عادة ما تلفت أنظار النقاد والمتلقين على حد سواء، حيث استطاع الفنان زياد حيدر من خلال تجربته الفنية الطويلة نسبياً أن يختط له مساراً مهماً في المشهد التشكيلي العراقي. وقد عرف الفنان بدأبه وعفوية انتقاله من مرحلة الى أخرى، وهو لا يستسيغ فكرة اختزال المراحل الفنية لكنه لا يخفي جرأ ته في التعامل مع ملمس اللوحة وفضائها اللا محدود.

لقد تأثر الفنان اسوة بمجايليه، بالحركات الفنية المتعاقبة، سواء المحلية منها أو الوافدة، ولكنه ظل حريصاً على تفرده و استقلاليته وحاول منذ البدء حسب تعبيره، أن يخلق متحفاً شخصياً له، فهو يرى أن المنجز الفني تعبير عن خصوصية الفنان، الأمر الذي حفزه على ان يبحث جدياً في جوهر العملية الأبداعية التي لا ترخي الطبع الا للمنقطعين اليها و المختلفين لأجوائها الاشكالية. فالطريق الذي اختاره شائك وملتو لكنه مليء بالمفاجآت المدهشة لأولئك الذين يتجشمون عناء البحث والتجريب والاستقصاء وزياد حيدر هو واحد من هؤلاء يبحث دائماً عن المغايرة والاختلاف. وهنا أريد أن أتوقف عند المحاور الرئيسة التي ينطلق منها لترصين تجربته الفنية. فالفنان يرى أنه بامكانه أن يتخلى عن كل شيء أثناء احتفالية الرسم باستثناء الذاكرة باعتبارها لا تمثل الا السائد والمكرور من التجارب والرؤى والأفكار، غير أن المخيلة تبقى ذلك المنجم المغري الذي لا يستطيع أن يطأه الا المبدعون الحقيقيون المسكونون بهاجس المغايرة والتفرد والاستثناء. فالابداع هو محاولة لاقتناص الجزء اللا مرئي من المخيلة المدهشة، لكنه ينتشل نفسه من هذه — الهنة غير المقصودة — حينما يقول — انني أحاول أن أشحن هذه الذاكرة باستمرار، وهنا يلتقط الفنان الخيط الضائع، ويمسك بعصب التجربة النابض، فشحن الذاكرة لا يتأتى الا عن طريق المخيلة.

فالفنان مدعو لمراجعة طروحاته النظرية بما ينسجم مع رؤيته الجمالية التي يصبو لتحقيقها. أما المحور الثاني، فهو ثنائية الضوء والعتمة، والذي أعده أهم المحاور في تجربة زياد حيدر الفنية، لأن فلسفته الحياتية ووجوده الفني قائمان على هذه الثنائية التي نستطيع من خلالها أن نتوقف عند نتاجاته التي عرضها في عمان - دمشق -بلجيكا - فنلندا - بولندا - وفي بعض المدن الهولندية وفي أمستردام حيث يقيم. فالفنان مأخوذ بجدلية الضوء والعتمة، فثمة عالم مبهرج تتقاطع فيه أقواس من الألوان البراقة، يقابلها عالم شديد في عتمته، وما بينهما فضاء رمادي قد لا يعبر بالضرورة عن خصائص النقيضين..

غير أن الفنان المقبل من أطلال أم ايشين يحمل بين طيات روحه تلالاً من الحنين الى ذلك الحزن الشفيف الذي لا يدركه الا الواقعون في أعلى درجات الوجد الصوفي. أما المحور الثالث الذي يؤرق ذاكرة الفنان فهو احساسه بأنه — مهمش خارج الذاكرة أو ملقى خارج المتحف — الأمر الذي يحفزنا على مراجعة مقولة بيرجر التي استند اليها الفنان زياد حيدر فبيرجر يقول (لن يثيرنا وجود تمثال في متحف ما بقدر ما يثيرنا أو يستفزنا وجوده في حفرة على قارعة الطريق، ففي الحالة الأولى هو شكل قائم بذاته،وفي الحالة الثانية استحال الى موضوع يثير الدهشة والتساؤل) هذا الأمر ينطبق على المنجز الابداعي ومكانته التي ينبغي أن تكون أثيرة لدى المتلقي المتخصص، أو حتى عامة الناس بدرجة أقل.

أما وجود الفنان العراقي في المنفى وكأنه خارج من متحفه، وساقط في حفرة منسية على قارعة الطريق فهو محض افتراض سلبي ليس الا، فالفنان قد يتحول الى انسان ضائع أو هامشي عندما لا يستطيع أن يخلف بصماته على هوية عصره، وبخلاف ذلك فهو مجرد شعور بالغربة المكانية عن الوطن والأهل والأصحاب. وعوداً على المنجز الأبداعي الذي يقدمه الفنان زياد حيدر، نقول أن الفنان قد تمكن من تعزيز طروحاته الفنية عبر اشتغاله على تقنياته الأساسية المعروفة في القص والكولاج والتصميم مخضعاً — فيغراته — الجديدة لتجارب لونية صارت مألوفة لدينا، فالفنان يميل بطبعه الى الألوان المعتقة المشتقة من الفحم أو الحبر أو سواهما الى الحد الذي يستطيع أن يوحي لنا بالعتمة المقصودة، ثم يبدأ أضاءاته الحقيقية التي تنبجس من أمكنة مختلفة غاية في الدقة والأهمية، الأمر الذي يقودنا الى الانبهار بقدرته الفذة في بث الومضات الاشراقية في متن اللوحة التي أخضعها لتجربة تصميمية متقنة.

وينبغي أن لا ننسى امكانية الفنان في اختزال النكوينات والأشكال والموضوعات والخطوط عبر ثلاثية القص والكولاج والتصميم ليصل بلوحاته الى أقصى مداها التجريدي. فالفنان الذي ينجح في استثمار هذه الثلاثية يستطيع أن يخلق نماذج فنية مهمة مستقاة من تكوينات وأشكال مألوفة تصادفنا كل يوم دون أن تثير انتباهنا. غير أن الفنان المبدع يستطيع أن يضفي عليها بعداً فنياً عبر ثنائية الحذف والاضافة، أو من خلال المعالجة الموضعية لهذا الجزء أو ذاك من التكوين العام. وفي الختام نذكر الفنان زياد حيدر بأنه ليس كائناً مهمشاً، وانما هو فنان متميز يعيش في قلب الحدث الفني، ويتسامى كل يوم في فضاء العملية الابداعية.

ثنائية الضوء والعتمة

لغة التضاد

أحمد السوداني

يمثل الجسد وتفصيلاته الأفق الذي يتحرك عبره الفنان زياد حيدر،معتمدا لغة التضاد كوسيلة خطاب،اذ هو يعول على آلية الرؤية عند الإنسان كمعطى فيزيولوجي،عندما يضع اللون الأسود بتدرجاته المتفاوتة على خلفية بيضاء واسعة،فأنه بذلك ينشئ فارقا حسيا بين سطحين متموضعين بجانب البعض،فالأبيض يسند التفاصيل ويعمل على دفعها الى الإمام، ولكي يسيطر زياد على تلك الآلية،يلجأ الى استخدام ألوان حارة ودافئة؛ الأحمر والبرتقالي وبمساحات صغيرة تشغل المركز عادة وتعمل كقوة جاذبة لبقية التفاصيل، وهو بذلك يحكم قبضته على توزيع التوازن والامتداد والفراغ ويحقق قدرا عاليا من التناغم، فهو يخاطب في ألوانه القاتمة عتمة اللاوعي بعتمة مماثلة،تتماهى معها وتستدرجها بغية الإفصاح عن مكنوناتها المكبوتة، هذا التضاد في اللون يقابله تضاد على صعيد الشكل، فزياد يختار التكوينات البشرية المتسمة بالحركة،الأطراف، ليشير الى حياتنا المعطلة وسكونية الموت والعجز عن اللحاق بتلك اللحظات الهاربة.

جهود زياد تستحق اكثر من التنويه والثناء.